



بالمcriji

سميرة رجب

قتلة بالفطرة؟

العنوان أعلاه هو مقال بقلم الصحفي الأمريكي «تشارلز كلوفر» نشر في صحيفة الفاينانشال تايمز نيوز «News.ft.com»... يصف فيه تجربته كصحفي مرافق للقوات الأمريكية في حربها على العراق، بفلسفه قد تكون خافية على الغالبية العربية التي ترى في المجتمع الأمريكي مثاراً للديمقراطية، وتردد كالبيغواوات ان الإرهاب مصدره عالمنا الإسلامي العربي اللاديمقراطي... يقول كاتبنا:

«أحدى ذكرياتي المريمة عن تجربتي في تغطية الحرب على العراق، كصحفي مرافق للقوات الأمريكية، كانت لجندي أمريكي صغير السن بعد معركة في شوارع النجف، خلال تبادل إطلاق الرصاص مع قناص، أسرعت سيارة فييات زرقاء في الشارع محاولة الهرب، أطلق الجندي ١٥ صلبة من سلاحه الآلي وقتل السائق الذي تبين أنه أستاذ جامعة وغير مسلح، بعد ساعة سمعت الجندي يشكو من أن سلاحه محشور مما يمنعه من إطلاق المزيد من الصواريخ. وفي هذه الأثناء تجمع زملاؤه الجنود حوله يهئونه على أول عملية قتل يقوم بها، ولم يكن من الواضح حينئذ إذا كان يعرف من قتل أو إذا كان لذلك أية أهمية. وقد كنت دائماً أجد صعوبة في فهم كيف يمكن لراهق أمريكي، قد يكون نشاً في الضواحي مثلـي، أن يكون له هذه النظرة إلى القتل... لقد رأيت الكثير مثلـه.

إن هذه المجموعة من الأميركيـان الشباب العنيفين هـم موضوع أحد أفضل الكتب عن حرب العراق، وهو كتاب (قتل الجيل) مؤلفه «إيفان رايت» الذي غطى الحرب لمجلة «رولنـج ستون» بصفته مراسلاً مـرافقاً للماريـنـز. ولا يـعرف المرء كـيف يـصنـف كتاب (قتل الجيل)... إنه ليس مناهضاً للحرب في تناولـه ولكن مجـمل الملاحظـات التي قدمـها المؤـلف تقوـد إلى تجـريم السـلوكـ الأمـريـكيـ فيـ العـراـق... ومـثلـ الجـيلـ الـذـيـ يـراـقبـهـ، فإنـ الـكتـابـ لاـ يـمتـلكـ بـوـصـلـةـ أـخـلـاقـيـةـ، إـنـهـ بـبـسـاطـةـ تـسـجـيلـ لـالأـحـادـيـثـ وـالـأـفـعـالـ وـالـاخـطـاءـ - وـكـلـ ذلكـ مـدوـنـ بـأـسـلـوبـ بـدـيعـ يـرـفـعـ يـرـفـعـ مـنـ نـسـبـةـ الأـدـرـيـنـالـيـنـ لـدـىـ قـارـئـهـ.

والعنوان يقول كل شيء: هذا هو كتاب حول معاصرـي مذبحـة مدرسة كولومـبـاينـ الثـانـويـةـ فيـ كـولـورـادـوـ الـذـينـ يـشـقـونـ طـرـيقـهـ كـرـأسـ حـرـبـةـ فيـ العـراـقـ، إـنـهـ يـمـثـلـونـ تـقـرـيبـاـ الـجـيلـ الـأـمـريـكيـ الـأـوـلـ، الـمـكـونـ مـنـ الـأـطـفـالـ الـذـينـ يـسـهـلـ التـخلـصـ مـنـهـمـ بـعـدـ الـاستـعـمالـ، هـذـاـ ماـ يـقـولـهـ رـايـتـ الـذـيـ يـقـدـرـ أـنـ نـصـفـ الـفـرـقةـ الـتـيـ كـانـ يـرـافـقـهـ جـاءـواـ مـنـ مـنـازـلـ تـفـقـدـ أـحـدـ الـأـبـوـيـنـ «الـكـثـيرـ مـنـهـمـ نـشـأـواـ عـلـىـ قـضـاءـ وـقـتـ مـعـ ثـقـافـةـ الـعـابـ الـفـيـدـيـوـ وـبـرـامـجـ الـوـاقـعـ فـيـ الـتـلـفـيـزـيـوـنـ، وـالـمـوـاقـعـ الـإـبـاحـيـةـ فـيـ الـإـنـتـرـنـيـتـ أـكـثـرـ مـاـ يـقـضـونـهـ مـعـ عـائـلـاتـهـمـ»... إـنـ جـوـهـرـ الـكـتـابـ يـنـاقـشـ التـقـاطـعـ الـمـلـمـلـ الـحـربـ وـاسـتـحـواـذـ العنـفـ عـلـىـ نـفـوسـ هـذـاـ الجـيلـ.

نقل رايت عن أحد الجنود قوله «كـنتـ أـفـكـرـ فـيـ شـيءـ وـاحـدـ وـنـحنـ نـذـلـخـ فـيـ نـكـلـ الـفـخـ، لـعـبـةـ السـرـقةـ الـكـبـيرـةـ، مـدـيـنـةـ الـخـطـيـئـةـ (إـشـارـةـ إـلـىـ لـعـبـةـ كـوـمـبـيـوتـرـ مـعـروـفةـ)، لـقـدـ شـعـرـتـ بـأـنـيـ أـعـيـشـ تـلـكـ الـلـعـبـةـ عـنـدـمـ رـأـيـتـ الـلـهـبـ يـخـرـجـ مـنـ الـنـوـافـذـ وـالـسـيـاـرـةـ الـمـتـفـجـرـةـ فـيـ الشـارـعـ وـالـرـجـالـ الـذـينـ يـزـحفـونـ حـولـنـاـ وـهـمـ يـطـلـقـونـ عـلـىـ النـارـ، كـانـ شـيـئـاـ رـائـعاـ».

إنـ هـذـاـ الجـيلـ سـوـفـ يـلـعـبـ دـورـاـ حـاسـمـاـ فـيـ حـربـ أـمـريـكاـ الـلـانـهـائـيـةـ عـلـىـ الـإـرـهـابـ، دـورـاـ جـيدـاـ أوـ سـيـئـاـ، فـكـماـ يـلـاحـظـ رـايـتـ كـانـ الـجـنـوـدـ مـنـ الـعـنـفـ بـحـيثـ إـنـهـ لـاـ يـحـتـاجـونـ إـلـىـ سـبـبـ لـلـقـيـامـ بـمـهـامـهـ الـشـنـيـعـةـ. وـعـلـىـ عـكـسـ جـيلـ فـيـتنـامـ الـذـينـ كـانـتـ تـمـثـلـ لـهـمـ الـحـربـ فـقـدانـ الـبـرـاءـةـ، لـمـ يـكـنـ لـدـىـ جـيلـ جـنـوـدـ الـعـراـقـ (الـأـمـريـكـاـ)ـ بـرـاءـةـ يـفـقـدـونـهـاـ، إـنـهـ جـيلـ (الـحـكـومـةـ الـكـاذـبـةـ كـذـبـاـ ضـرـوريـاـ مـثـلـ الـضـرـائبـ)، حـسـبـ وـصـفـ رـايـتـ، وـهـمـ سـعـداـ تـمـاماـ بـمـعـرـفـتـهـمـ أـنـ الـحـربـ هـيـ مـنـ أـجـلـ الـحـصـولـ عـلـىـ الـنـفـطـ.

وـمـنـ خـالـلـ تـغـطـيـتـيـ لـلـحـربـيـنـ فـيـ أـفـغـانـسـتـانـ وـالـعـراـقـ فـيـ السـنـتـيـنـ الـماـضـيـتـيـنـ رـأـيـتـ هـذـهـ الـمـجـمـوعـةـ مـنـ الشـابـ الـمـنـحـرـفـ اـجـتمـاعـيـ، وـالـمـسـلـحـ تـسـلـيـحـاـ ثـقـيلاـ، وـهـمـ يـصـبـحـونـ مـسـؤـولـيـةـ أـمـريـكـاـ الـدـولـيـةـ. إـنـ الـثـقـافـةـ الشـبـابـيـةـ الـعـنـيـفـةـ فـيـ أـمـريـكـاـ كـانـتـ مـنـذـ زـمـنـ مـثـلـ فـضـولـ الـعـالـمـ، وـلـكـنـهاـ أـصـبـحـتـ آـلـاـنـ فـيـ تـمـاسـ مـباـشـرـ وـغـيرـ مـسـبـوقـ مـعـ حـضـارـاتـ قـدـيمـةـ، لـاـ شـبـابـنـ يـفـهـمـهـاـ وـلـاـ هـيـ تـفـهـمـهـ.

وـالـنـتـيـجـةـ فـظـيـعـةـ وـمـأـسـاوـيـةـ، وـبـالـنـهاـيـةـ هـازـمـةـ لـلـلـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدةـ وـحـلـفـائـهـ... فـقـبـلـ كـلـ شـيـءـ كـانـ التـغـيـرـ الـحـاسـمـ فـيـ الرـأـيـ الـعـامـ الـعـراـقـيـ ضـدـ الـاحتـلالـ فـيـ الـأـشـهـرـ الـأـخـيـرـ بـسـبـبـ التـقـاسـ بـيـنـ الـعـراـقـيـنـ وـهـلـاءـ الشـبـابـ وـالـشـابـاتـ... فـبـدـاـ مـنـ كـسـبـ الـقـلـوبـ وـالـعـقـولـ خـارـجـ أـمـريـكـاـ أـصـبـحـتـ الـجـنـوـدـ الـمـلـمـلـ الـرـئـيـسيـ لـلـغـضـبـ الـعـالـيـ ضـدـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدةـ... وـهـيـ حـقـيـقـةـ تـمـثـلـ بـوـضـوحـ نـتـائـجـ الـطـائـرـاتـ عـلـىـ حـسـابـ الـتـعـلـيمـ وـالـتـقـيـيفـ، وـهـيـ حـقـيـقـةـ تـقـيـيـضـ الـضـوءـ عـلـىـ الـلـاءـدـالـلـةـ فـيـ تـوزـعـ الـدـخـلـ وـالـثـرـوـةـ الـتـيـ صـنـعـتـ مـنـ الـفـقـراءـ مـرـتـزـقـةـ.

وـقـدـ شـرـحـ أـحـدـ جـنـوـدـ الـمـارـيـنـزـ فـيـ الـفـرـقةـ الـتـيـ رـافـقـهـ رـايـتـ، وـبـالـعـدـدـ ٣٧٤ـ فـرـداـ، شـرـحـ ثـقـافـتـهـمـ الـعـنـيـفـةـ بـقـولـهـ «لـقـدـ تـمـ غـسـيلـ أـدـمـغـتـنـاـ وـتـدـرـيـبـنـاـ عـلـىـ الـقـتـلـ... أـثـنـاءـ التـدـرـيـبـ عـلـىـ انـ نـصـرـخـ (أـقـتـلـ) ٣٠٠ـ مـرـةـ فـيـ الـيـوـمـ، وـلـهـذاـ إـنـ الـقـتـلـ سـهـلـ بـالـنـسـبـةـ لـنـاـ».

كـمـ يـوـضـحـ نـاثـانـيـلـ فـيـكـ، الـلـفـقـنـانتـ الـبـالـغـ مـنـ الـعـمـرـ ٢٥ـ سـنةـ

هـذـهـ النـقـطـةـ قـائـلاـ «مـنـ الـغـرـبـ أـنـ نـسـبـةـ عـالـيـةـ مـنـ الـمـارـيـنـزـ الـذـينـ نـزـلـواـ عـلـىـ السـوـاـحـلـ فـيـ الـحـربـ الـعـالـمـيـةـ الـثـانـيـةـ، لـمـ تـلـقـنـ النـارـ، وـلـكـنـ لـيـسـ هـلـاءـ الشـبـابـ الـذـينـ لـاـ يـهـمـهـ الـقـتـلـ».

وـبـيـنـ مـهـرجـانـاتـ الـعـنـفـ هـذـهـ كـانـتـ هـنـاكـ لـحـظـاتـ مـنـ الـنـدـمـ...

سـارـجـنـتـ أـمـرـ بـطـرـيـقـ الـخـطـأـ أـحـدـ الـجـنـوـدـ أـنـ يـقـصـفـ مـنـزـلـاـ مـدـنـيـاـ

وـكـانـ عـلـيـهـ أـنـ يـوـاجـهـ نـتـائـجـ عـلـمـهـ، لـيـرـىـ طـفـلاـ عـمـرـهـ ١٢ـ سـنـةـ مـصـابـاـ

إـصـابـةـ بـلـيـغـةـ وـأـمـهـ الـبـاـكـيـةـ... وـيـعـلـقـ عـلـىـ ذـلـكـ بـقـولـهـ «إـنـ الطـيـارـ لـاـ يـرـىـ نـتـائـجـ فـعـلـتـهـ وـلـكـنـ رـجـالـ الـمـدـفـعـيـةـ عـلـىـ الـأـرـضـ يـفـعـلـونـ ذـلـكـ، إـنـ التـفـكـيرـ

فـيـ هـذـهـ يـقـتـلـنـيـ»... اـنـتـهـىـ.